مكافحة الفساد والاصلاح التربوي والتعليمي

(قراءة في التجربة الاماراتية)

الدكتور مفيد كاصد الزيدي

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / قسم السياسيات العامة

يعد الانسان اساس ثروة الامم، واساس التنمية الحقيقية، وان نجاح اي خطط تنموية يعود الى قدرة الدولة على تصميم رؤية لهذه الخطط لتكون اساس للنهضة والتحديث. وكلما ضعفت قدرة الدولة على مواجهة تحديات التنمية المتعاظمة ازدادت هشاشة و(شرعية الدولة)،وان العدالة في تطبيق التنمية داخل بنية المجتمع تسهم في تعزيز الجبهة الداخلية، وتقلل التوتر الداخلي وتدعم ركائز المجتمع امام التحديات الخارجية. ويمثل حقل التربية والتعليم اساس التنمية وبناء الانسان، ولذلك لابد من ربط التربية والعملية التعليمية ب(تنمية الانسان) اولا واخيرا(١).

ان العلم والتكنولوجيا في مرحلة صعود تاريخية لصناعة المستقبل في عالم اليوم في ظل منافسة بين الدول المتقدمة للصدارة واكتساب القدرة للحاق بركب التطور الحضاري من خلال ركائزه في القرن الحادي والعشرين وهي:،الانجاز البحثي العلمي، والثقافة العلمية، ومحو الامية العلمية، لان العلم

هو روح العصر، ويعرف العلم بانه بنية معرفية نسقية وظاهرة اجتماعية وثقافية تخدم المجتمع في تقدمه ومواجهة تحدياته ورسم مستقبله(٢).

ان هذه الورقة تحاول ان تدرس موضوع مكافحة الفساد وخطوات الاصلاح التربوي والتعليمي في المراحل الدراسية الابتدائية والاعدادية اي ما قبل الجامعة كدراسة حالة في تجربة دولة خليجية رائدة هي دولة الامارات العربية المتحدة في هذا المجال.

لماذا دولة الامارات؟:

في ظل الوضع الدولي الجديد برز الاقتصاد الخليجي والاماراتي خاصة كقوة متميزة في مجالات النفط والغاز الطبيعي والسوق العالمية والتجارة الخارجية، وبرزت دولة الامارات العربية المتحدة كأكبر واغنى دول المنطقة انتعاشا اقتصاديا وتجاريا وماليا، وفي الطليعة خليجيا وعربيا وعالميا في الانفتاح على العالم الخارجي في عصر العولمة، وازداد النمو المالي والاقتصادي فيها مع التطور التجاري الكبير والعمراني والمعماري البارز، واكد الشيخ مُحَمَّد بن راشد ال مكتوم حاكم دبي رئيس الوزراء ونائب رئيس الدولة بان رؤيته تقوم على ان تكون الدولة(اي الامارات) من افضل دول العالم بحلول عام ٢٠٢١ رؤية استراتيجية ببناء الدولة والمجتمع تقوم على شعب طموح واثق ومتمسك بتراثه، واتحاد قوي يجمع بينه مصير مشترك واقتصاد تنافسي بين الرجل والمرأة يتميزون بالأبداع والمعرفة وحياة الجودة والبيئة العالمية المتميزة(٣).

ان رؤية صانع القرار في دولة الامارات ان تكون ابوظبي عام ٢٠٣٠ ذات نمو في الناتج المحلي يصل فيها الى ٤١٦ مليار دولار تشكل القطاعات غير النفطية نسبة ٦٤% مثل الطيران

والبتروكيمياويات والسياحة وغيرها. اما في التعليم فان رسم استراتيجية الدولة المستقبلية في احلال خريجي التعليم محل الوافدين العرب والاجانب في تغيير جذري في بنية التربية والتعليم، ومساعدة الجيل الجديد على تعلم المهارات القائمة على المعارف لامتلاك القدرات في صنع القرار بالدولة في المستقبل(٤).

مع تأسيس الدولة الاتحادية في عام ١٩٧١ بدأت مرحلة جديدة من تطور التعليم في دولة الامارات والاهتمام بالتربية والتعليم، تم التأكيد فيها على التعليم الالزامي والمجاني من مرحلة الابتدائية وما بعدها صعودا، اذ شهد حقل التربية والتعليم نموا ملحوظا في مجالات التعليم الحكومي والاهلي والديني والمهني(٥).ودعمت الدولة التعليم الابتدائي والثانوي والاشراف على المدارس وانشاء وزارة التربية والتعليم الاتحادية وتعميم التعليم الابتدائي والثانوي واتاحة الفرص امام الجميع بالتعليم والقضاء على الامية ومضاعفة البعثات الدراسية الى الخارج والاهتمام بتعليم المرأة والتعليم المهني التجاري والصناعي والزراعي(٦).

فالتعليم في دولة الامارات له اهمية منذ البداية في عملية التنمية البشرية المطلوبة في المنافسة اقتصاديا على الصعيد العالمي، لكون جودة كفاءة مخرجات التعليم تسهم بشكل كبير في تحقيق خطط التنمية المستقبلية.

مكافحة الفساد في دولة الامارات:

ان اشكالية الفساد تنتشر في بقاع العالم اليوم ولو بنسب متفاوتة من دولة الى اخرى، وربما دولة الامارات تعد اقل الدول فسادا في الوطن العربي، ويجرم قانون العقوبات في الدولة قبول الرشوة او

الاختلاس، ويتم تنفيذ قوانين مكافحة الفساد بحيث لا تنتشر الرشوة او الفساد بشكل شائع في البلاد، وبذلك قفزت دولة الامارات في ترتيبها بمؤشر مدركات الفساد من التسلسل ٣٧ عام ٢٠٠٣ الى التسلسل ٢٧ عام ٢٠١٢ واستمرارها بقوة بالتصدي للفساد ومكافحته، واصدرت الدولة قوانين وتشريعات لمكافحة الفساد الاداري والمالي، وقانون استرداد الاموال المحصلة بطريقة غير مشروعة، وتعديل قانون العقوبات لعام ٢٠٠٥ بزيادة العقوبات على جرائم الفساد، والقانون الاتحادي رقم ٨ لسنة ٢٠١١ الذي اسند مكافحة الفساد الى ديوان المحاسبة، وتم تصنيف دولة الامارات عالميا سنة ٢٠١٣ بانها اقتربت من احكام اتفاقية مكافحة الفساد ضمن التجارب الناجحة ،ومكافحة غسيل الاموال، ويتم تداول مقترح اقامة هيئة وطنية للشفافية ومكافحة الفساد في الامارات تتبع اعلى سلطة بالدولة باستقلالية كاملة لمتابعة الفساد المالي والاداري(٧).

علما ان المراقبين لتجربة دولة الامارات في حقل التعليم يشيرون الى اندثار خطة التعليم ٢٠٢٠ التي تبنتها وزارة التربية والتعليم المعلنة من عام ١٩٩٩، ورصدت لها اموال كبيرة دون ان تصل الى النتائج المتوخاة منها مع تعثر قد حصل في المسيرة التعليمية خلال تلك السنوات، مما يتطلب وقفة جادة للتحليل وبيان المسببات كمراجعة واصلاح تربوي وتعليمي مطلوب لتصحيح مساره الحالي والمستقبلي(٨).

اولويات التعليم في الامارات:

تواجه دولة الامارات تحديات تعاني منها بقية الدول العربية وهي ضعف مستوى تحصيل الطلاب مقارنة بالمستوى العالمي، ومن اجل النهوض بهذا المستوى تم اعداد خطط للإصلاح ومراقبة الجودة

وتقارير التفتيش من وزارة التربية والتعليم، وتأسيس مجلس ابو ظبي للتعليم، وهيئة المعرفة والتنمية البشرية وغيرها من اجراءات تصب بهذا الاتجاه. وسعى نظام التعليم في دولة الامارات لتبني استراتيجية تحقيق اهداف وطنية لمواكبة التطورات العلمية والتربوية والارتقاء بالعملية التربوية الى الجودة، وانتاج المعرفة التي تفضي الى دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية لاسيما ان نصف المجتمع الاماراتي هو في سن الشباب تحت الخامسة عشر من العمر، ثم مستلزمات الجودة والابداع من رياض الاطفال الى الجامعة والوصول الى الصف الاول من تراتبية النظام العالمي المتقدم في التعليم، وان تظل الدولة الاولى في المنطقة من حيث نموذجها المتقدم في التنمية والجودة والتعليم وبناء اقتصاد المعرفة، وان تكون دولة الامارات من افضل دول العالم بحلول العام ٢٠٢١ في حقل التعليم.

وتسعى ابو ظبي الى وضع خطط منذ العام ٢٠٠٩ للوصول الى مخرجات تعليمية تتماشى مع اعلى المعايير الدولية في مدارس خاصة متميزة، وربط المخرجات التعليمية مع احتياجات سوق العمل، وجذب افضل الخبرات التعليمية، وتطبيق من العام ٢٠١٠/٢٠١١ نموذج مدرسي جديد من رياض الاطفال الى السادس الاعدادي يهدف الى رفع مستوى جودة الاداء في المدارس الحكومية الى المستوى العالمي.

واكد الدكتور لين بيرسون (مدير قطاع التعليم المدرسي في ابو ظبي) ان سياسة التعليم بدولة الإمارات جرى اصلاحها بوضع خطة استراتيجية لدعم تغيير واصلاح نظام التعليم المدرسي بتزويد اطفال ابو ظبي بأفضل تعليم لضمان نجاحهم في المستقبل، والعمل في المدرسة النموذجية الجديدة بتطوير اللغتين العربية والانكليزية لدى الطلبة عامة، وايجاد مدرسين وقادة يعملون بهذه المدارس ذو

مستوى عال ،ومناهج تركز على القراءة والكتابة والحساب، وابنية مدرسية تركز على الطفل بتقنيات تشجع التعلم الحديث ومنهجيات التعلم والتواصل الفعال بين البيت والمدرسة.

وتسعى دولة الامارات الى مواجهة تحديات التربية والتعليم باعتماد اللامركزية بإقامة الشركات مع القطاع الخاص لتطبيق الطرائق العالمية في المجال التربوي، وتحسين نتائج تعليم الطلاب، ودعم المعلمين ومديرو المدارس لانهم يوصلون المحتوى المعرفي للطلاب.

اما البروفسور رالف تابرير(رئيس مدارس جيمس التعليمية بدبي) فيؤكد ان التحدي الاكبر اما دولة الامارات في اتساق التعليم وجودته باتخاذ خطوات بناء نظام تعليمي اقوى، والانفتاح على الاصلاح التربوي والتعليمي، والمعايير المدرسية وتعزيز الشفافية ومواجهة الفساد ومحاسبة المدارس والادارات، وفحص الجودة وتعميم النظام ووضع هياكل تعليمية وتطوير القيادة وطرائق التدريس الحديثة(٩).

خطط الاصلاح التربوي:

ان دول الخليج العربي الصغيرة ذات المداخيل الاقتصادية العالية تسعى الى ان تكون لها مكانة عالمية متقدمة بالتنمية والاقتصاد وسوق العمل وتطوير التعليم كأساس لها ،وظهرت في دولة الامارات مبادرة التعليم الجديدة لتطوير التعليم منذ عام ١٩٩٩ لتصل الى خطة ٢٠٢٠ مع تشكل مجالس للتعليم في امارات الدولة تضع وتنفذ خططا لتطوير التعليم بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم على اساس تطوير المدارس بتعليم اللغة الانكليزية وتعليم الرياضيات والعلوم بالإنكليزية،

وعمل الخبرات الاجنبية في حقل ادارة التعليم مع بيوت الخبرة العالمية في سنغافورة وكندا ونيوزيلندا، والسعي لإقامة برامج مشتركة مع هذه الدول والاستفادة من تجاربها.

ان دولة الامارات في سباقها نحو التميز والريادة العالمية لديها اهداف ومبادرات لتطوير التعليم او اصلاح التعليم لتجاوز العثرات والاخفاقات التي حصلت في خطط السنوات الماضية وخاصة من عام ١٩٩٩ ومن خلال وضع ودعم اليات التطوير جديدة الان وهي:

١–تطوير المناهج الدراسية على اسس حديثة عالمية

٢–تاهيل المعلمين والمدرسين وتدريبهم

٣–تطوير تقنيات واساليب التدريس وطرائق التقويم

٤– الاهتمام بالمباني المدرسية المتطورة

٥–الاستجابة لمتطلبات سوق العمل من مخرجات التعليم

٦–تعليم اللغات الاجنبية وخاصة الانكليزية (١٠).

ان اولويات مجلس ابو ظبي للتعلم ٢٠١٠/٢٠١٠ الارتقاء بجودة التعليم من خلال رفع جودة المدارس في ابو ظبي للمعايير العالمية، وتحسين المنفذ الى التعليم في السادس الاعدادي، وتزويد الطلاب بخيارات من الجودة المرتفعة للتعليم الاهلي الخاص والمحافظة على ثقافة وارث الامارات، وتطوير المسار المهني للمناهج واستمرار اصحاب المصلحة بطريقة نشطة(١١).

استنتاجات...وتوصيات للتربوي العراقي.

ادركت دولة الامارات ضرورة مواجهة الفساد في مؤسسات الدولة في كافة المجالات ووضع تصورات وخطط تتجاوز حالات الاخفاق والتعثر في الخطط السابقة في التربية والتعليم من خلال الاصلاح التربوي والتعليمي بغية منافسة اقتصاد المعرفة العالمي، واعادة التفكير في ممارسات التدريس والتعلم بدءا من الصف الدراسي الى الادارات المدرسية والوزارة وقطاعات التربية بكل امارة، وان يكون الهدف وصول طلاب الامارات الى المنافسة والاستعداد واخذ دورهم في مجتمع المعرفة الذي تسعى الامارات الى بنائه في المستقبل لهذا الجيل الجديد الذي ستطبق عليه اليات الاصلاح المدرسي المنشود استفادة من تجارب الماضي والاستعانة بخبرات اجنبية، وتجارب عالمية رائدة نجحت في تحقيق اهداف مشابهة للتنمية والنهضة التي تطمح لها الامارات.

يمكن ان نتوصل من خلال هذه الورقة الى عدة توصيات يستفيد منها صانع القرار التربوي او المساهم في صياغة العملية التعليمية في العراق في كل مفاصلها وهي:

١-لابد من ادراك حقيقة قديمة جديدة في حقل التنمية واساسا في التربية والتعليم وهي انه لا يمكن بناء تعليم على مستوى عالمي محدث دون بناء الانسان، الانسان اساس العملية التعليمية، فلا تنمية في العراق اليوم او غدا دون (بناء الانسان) الذي هو المستهدف اساسا بهذه التنمية. .

٢-يمكن الاستفادة في العراق من تجربة رائدة عربيا وهي تجربة دولة الامارات الطموحة بتخطيط استراتيجي للحاق بركب التقدم العالمي وامتلاك اقتصاد المعرفة ومخرجات التعليم لصالح السوق، وعدم جعل التعليم عملية غامضة بلا خطط سواء كل خمس ام عشر سنوات لتصل تباعا الى مراكز متقدمة في المنافسة والجودة العالمية.

٣–ان التجربة الاماراتية لمكافحة الفساد عامة كانت ناجحة بتقارير عالمية اشارة الى تطور في تسلسلها بين دول العالم في مواجهة الفساد بعد ان تم وضع خطط واثقة وطموحة لتطبيقها بحقل التعليم بعد سنوات عدة من حالات الفشل انتابتها شبهات الفساد لم تنجح بالوصول الى مساعيها، ولم تكن العملية نهاية المطاف بل تم الاستفادة منها. وبهذا يمكن للعراق اليوم ان يستفيد من الاخفاقات التي حصلت في التربية والتعليم او الهدر المالي او الاستثماري ويتجه صانع القرار التربوي والتعليمي الى معرفة الاسباب والعوامل التي ادت الى التراجع ثم التوصل الى استنتاجات من اهمها ضرورة مواصلة المسيرة بوضع خطط حقيقية وواثقة وواقعية لمستقبل التعليم في العراق الى عام ٢٠٢٠ او ٢٠٣٠.

٤–ضرورة اصدار تشريعات وقوانين وعقوبات جديدة ورادعة في مجال مكافحة الفساد عامة والفساد التعليمي خاصة في العراق، وان ترتبط بسلطة مباشرة بوزير التربية او وزير التعليم العالي والبحث العلمي لمواجهة اي خلل في التربية او التعليم، واستخدام اشد عقوبات القوانين بحق المفسدين والفاسدين، وهذه كانت من اقوى الادوات التي نجحت في اقرارها دولة الامارات وحققت فيها تراجعا في معدلات الفساد في الدولة.

٥–لابد من الاستفادة من تجارب وخبرات عالمية في التربية والتعليم، وصلت فيه دولة الامارات الى مسالة تحديد مسار التعليم لديها وهو(–––تنمية–––جودة تعليم–––اقتصاد معرفة) ،لكي يكون التعليم مرتبط بالنوعية والجودة والكفاءة في الاداء مما يدعم خطط التنمية والتحديث الطموحة للعراق التي يسعى اليها بعد سنوات طويلة عجاف من حروب وصراعات وفساد وهجرة كفاءات.

٦–الاهتمام بعلوم العصر كما يطلق عليها في الغرب وهي التي تبدا من الابتدائية وصعودا الى الدكتوراه، وهي (الانكليزية–الرياضيات–الحاسوب) وعلى احدث المنهجيات وادق انواع الجودة لأنها باتت علوم مخرجات سوق العمل واقتصاد المعرفة في الالفية الثالثة.

٧–مشاركة التعليم الخاص (النوعي)المرتبط بالجودة في تطبيق الطرائق العالمية في التربية والتعليم، وتحسين الجودة ونوعية الطلاب، وعدم الاعتماد على القطاع الحكومي او العام في التعليم، للنهوض بالتعليم نحو الجودة والكفاءة.

٨–التعاون بين وزارات التربية او التعليم العالي والبحث العلمي او الثقافة في العراق مع ما يعرف اليوم(بيوت الخبرات الاجنبية العالمية) الرائدة المتميزة في حقل التربية والتعليم، والافضل عالميا هي سنغافورة وكندا وكوريا الجنوبية ونيوزيلندا حسب المقاييس التعليمية العالمية الان من خلال برامج مشتركة معها تقدم خبراتها وعصارة افكارها وتجاربها للمنظومة التعليمية العراقية والاستفادة منها.

لهوامش

(١)بهجت قرني، "التنمية الانسانية العربية في القرن الحادي والعشرين اولوية التمكين"، مجلة المستقبل العربي،السنة٣٧،العدد٤٢٨،بيروت،تشرين الاول/اكتوبر٢٠١٤،ص٧–٢٣.

(٢)جيمس تريفيل، لماذا العلم؟،ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة،العدد٣٧٢،الكويت،فبراير/شباط٢٠١٥،ص٩–١٠؛علي راتانسي، التعددية الثقافية قصة قصيرة جدا، ترجمة لبنى عماد تركي، مراجعة هاني فتحي سليمان، كلمات عربية للنشر،القاهرة،٢٠١٣؛لورنس م. برينسيبيه، الثورة العلمية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة مُحَمَّد عبد

الرحمن اسماعيل، مراجعة عبدالحكيم طه، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة،القاهرة،٢٠١٤؛سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية مقدمة نقدية، ترجمة ممدوح يوسف عمران، سلسلة عالم المعرفة العدد٤٢٥،الكويت،حزيران/يونيو٢٠١٥.

(٣)مُحَمَّد بن راشد ال مكتوم، رؤيتي التحديات في سباق التميز، الطبعة الثانية، الناشر موتيفيت للنشر،دبي،٢٠١١،ص١٩٦.

(٤)فروكه هيرد–باي، من الامارات المتصالحة الى دولة الامارات العربية المتحدة، ترجمة عايدة يني خوري، الناشر موتيفيت للنشر، الطبعة الثانية،دبي،٢٠١٠،ص٤١٩.

(٥)راشد الحبسي، التطور الاجتماعي في دولة الامارات العربية المتحدة ن١٩٧١–٢٠٠٤،الطبعة الاولى، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع،ابوظبي،٢٠١١،ص٨٩–٩٠.

(٦)وليد مُحَمَّد مصطفى، التطور الاقتصادي والاجتماعي للإمارات العربية المتحدة،١٩٧١–١٩٩١،دار الخليج للصحافة والنشر،الشارقة،٢٠٠٨،ص٢١٨–٢٣٠.

(7)www.emaratalyoum.com/business/locall2011-2/١/434719.

(٨)انظر:

امل صقر، "مبادرات تطوير التعليم"، في :

www.carnegieendowment.org/sada/fa=20580&lang=ar

(٩)انظر:

اعمال ووقائع ندوة ،"واقع التعليم والافاق المستقبلية لتطويره في دولة الامارات العربية المتحدة"، في الموقع الالكتروني:

www.ecssr.com/appmanager/portal/ecssr.

(١٠)امل صقر، المرجع السابق.

(١١)لين بيرسون، "التعليم المدرسي النموذجي الشامل الجديد في دولة الامارات العربية المتحدة"، ورقة قدمت في ندوة واقع التعليم والافاق المستقبلية لتطويره في دولة الامارات العربية المتحدة، الطبعة الاولى، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية،ابوظبي،٢٠١١،ص٣